11me Année No. 505

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 8 - 3 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ ربيع أول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٨ مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

أسس الاصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

الإصلاح المرتجل، أو الإصلاح الجزاف، قلما ينفع وقد يضير

ونعنى بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف كل إصلاح لا يُنظر فيه إلى الحاجة التى تدعو إليه، ولا إلى الأساس الذى يقوم عليه. فهو كالدواء الذى يُعطى قبـل معرفة الداء، أو كالعلاج الذى يعالج به الجهلاء كل داء: يفيد إن أفاد مصادفة واتفاقاً، ويضير - إن ضار - لأن الشأن فيه أن يضير

فلا بد لـكل إصلاح من أساس يقوم عليه، ومن حاجة يغنى فيها بمقدارها وعلى حسب البيئة التى تنشأ فيها

ولا بد لأولئك كله من تقدير صحيح لـكثير من الأمور

نقول ذلك لأن حديث الإصلاح فى العالم يجرى على كل لسان، وينقله المتحدثون فى مصر ليقيسوا عليه ما يقبل القياس، وبخاصة ما نقلته الأنباء البرقية عن «مشروع بيفردج» فى البلاد الإنجليزية، وما يرتبط به من الشُّعب التى لا عداد لها فى نواحى السياسة والاقتصاد والأخلاق

ولا نريد هنا تفصيل القول فى هذا المشروع، فلهذا التفصيل وقته حين ترد إلينا البحوث المسهبة التى أحاطت به من جانب القبول ومن جانب الإنكار، ومن جانب آخر غير القبول

والإنكار وهو الاعتراف بالأساس كله – أو ببعض الأساس – ثم التعقيب عليه بالإضافة أو التعديل

فحسبنا الآن أن نقول إن المشروع يشتمل على النظم التي تكفل إعانة العجزة والعاطلين ووقاية الأطفال وتأمين الصحة العامة وتعويض المصابين في الأعمال القومية ، وما شاكل ذلك من ضروب الإعانة والصيانة والترفيه

حسبنا هذا الآن إلى أن يحين الأوان للبحث المفصل في أجزائه، والمقابلة المفصلة بينه وبين نظائره من مواطن الإصلاح في البلاد المصرية ، وفي البلاد الشرقية على التعميم

إلا أن الوقت قد حان – بل حان جداً – لإقامة هذه المشروعات الإصلاحية كلها على أساسها القويم ، حذراً من يوم نصاب فيه بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف ، فلا ننجو من غوائله إلا بعد حرب أخرى كالحرب الحاضرة ، وساءت تلك من نجاة هي والمصيبة سواء !

هذا الإصلاح على أي أساس يقوم ؟

إن بعض الفضلاء الذين عقبوا على مشروع بيفردج في مصر قد فهموا منه أنه غلبة للمذهب الحكومي على المذهب الفردي في معقل الفلسفة الفردية ، وهو البلاد الإنجليزية

وقبل التعقيب على هذا الفهم لا غنى لنا عن بيان وجيز لما نقصده من المذهب الحكومي والمذهب الفردي في صدد هذا الإصلاح ، وصدد كل إصلاح من قبيله

فالمذاهب الاجتماعية تتشعب كثيراً بين الأمم الأوربية ، ولكنها بعد هذا التشعب تنحصر في طرفين اثنين جامعين ، وهما توسيع الحرية الفردية أو توسيع الرقابة الحكومية

فالديمقراطية تميل إلى توسيع الحرية الفردية

والنازية والفاشية والشيوعية – أيضاً – تميل إلى توسيع الرقابة الحكومية

وأنصار الديمقراطية يرون أن الرقابة الحكومية ينبغي أن تتناول الأقل الأقل من شئون الأفراد الخاصة والعامة ، ولا تمتد إلى شأن من شئون العقيدة أو التربية أو المعاملة إلا بحساب شديد وقدر مقدور لا يتجوز في المزيد

وأنصار الرقابة الحكومية ينوطون بالحكومة تدبير الثروة العامة وتدبير التربية العامة والهيمنة على الأعمال ورؤوس الأموال والعلاقة بين أصحاب المصانع وعمالهم وأصحاب المتاجر والمشترين منهم ، كأنما جميع هؤلاء موظفون في شركة كبيرة أو ديوان كبير

والميل الغالب بين الإنجليز هو الميل إلى الحرية الفردية سواء تمثلت في الديمقراطية أو في نظام من النظم التي تشبهها وتؤمن بصلاحها .

نزع القوم إلى ذلك في مسائل الاقتصاد ، وفي مسائل السياسة ، وفي مسائل الأخلاق ، وفي مسائل الآداب والفنون والعلوم . فالحرية الفردية عندهم هي النعمة التي لا تعدُلها نعمة ، والحكومات كلها عندهم إنما هي وسيلة من وسائل تحقيق هذه النعمة الكبرى : معيار صلاحها هو مقدار فلاحها في تحقيق هذه الغاية التي لا تعلوها غاية

وتلخص مذهب القوم هذا في كتاب هربرت سبنسر عن الفرد والدولة ، أو عن « الإنسان » والحكومة ، تكبيراً لمكان الفرد ، وحداً من مكان الدولة

وساعد القوم على الإيمان بهذا المذهب أنهم من قديم الزمان فرديون غالون في حب الحرية الفردية ، أو هم فرديون تاريخياً وجغرافياً ونفسياً باتفاق الزمان والمكان ، وأحداث الحياة ، وتطورات النفوس

هم سكان جزيرة منعزلون ، وأقاليمهم كانت فيما مضى ولايات منعزلة يشبه أن يكون كل أمير في ولاية ملكاً مستقلاً لا يدين للحكومة العامة بغير الولاء من بعيد ؛ وهم ركاب سفن تعودوا أن تكون كل سفينة كأنها وحدة مستقلة فوق الماء وتحت السماء ؛ وهم تجار يحرصون على حرية الأخذ والعطاء ؛ وهم من سلالات الشمال « الضبابي » التي تعود أهلها الإيواء إلى المنازل كأنها القلاع والحصون لا يطرقها طارق بغير إذن من أصحابها .

فهم حربون فرديون معرقون

أفنستطيع أن نقول اليوم إن مشروع الإصلاح الجديد قد قلب هذه الأوضاع جميعها رأساً على عقب وخرج بهزيمة الحرية الفردية في معاقل الديمقراطية ؟

إن قلنا ذلك فنحن ناقضون لمنطق الحوادث ، بل منطق الحرب الحاضرة على الخصوص

لأن الحرب الحاضرة في صميم لبابها حرب بين المعسكرين

المتقابلين : معسكر الحرية الفردية ومعسكر الرقابة الحكومية .

فمنطق الحوادث إذا انتصر الديمقراطيون ألا تنهزم الديمقراطية ، ولا تنتصر عليها الرقابة الحكومية فى نطاق واسع بعيد الآماد

وجائز أن تقتبس الديمقراطية بعض الحسنات من النظم الأخرى التى تقبل « الاندماج » فى بنيتها

ولكن الذى لا يجوز أن تنتصر فيصاب مبدأها بالهزيمة ، وينهدم أساسها الذى قامت عليه

إنما الحقيقة أن مشروع بيفردج وما يحكيه من مشروعات الإصلاح هو انتصار للديمراطية على الفاشية والشيوعية فى جوهر الخلاف بين المعسكرين

هو انتصار للقول بتعاون الطبقات على القول بحرب الطبقات ، ومن ثم فهو انتصار للديمقراطيين على المعسكر الذى يقابلهم فى الحرب الحاضرة

فالديمقراطية هى حكم الأمة بالأمة للأمة ، ولا تناقض بين هذا المبدأ — أو هذا الأساس — وبين تعاون طبقات الأمة على المعيشة الاجتماعية

وأنصار الرقابة الحكومية هم القائلون بحرب الطبقات ، وهم الذين يرجعون بالتاريخ من قديم إلى غلبة طبقة واحدة وتسخير سائر الطبقات لمنافع تلك الطبقة ، ويعتقدون أن تفسيرهم للتاريخ الإنسانى يقتضى فى النهاية أن تتغلب الطبقة العاملة وحدها على الدولة فتنزع الأموال والأملاك وتدخلها فى حوزة الدولة التى لن يكون فيها يومئذ غير طبقة واحدة

فعبرة الحرب الحاضرة هى انتصار الديمقراطية التى تقول بتعاون جميع الطبقات

بل تقول بعموم مذهب التعاون فى العلاقات الدولية والعلاقات الوطنية الداخلية على السواء

وإذا كان للتاريخ الإنسانى معنى فهذا هو منطق الحوادث فى صراع اليوم ، وهذا هو منطق الحرب الحاضرة إذا شاءت لها الأقدار أن تجرى إلى نهايتها على استقامة واعتدال

ونحن نؤمن أن الحرية الفردية هى رائد التاريخ الإنسانى من قديم الزمان ، وأنها هى مناط التقدم فى الحياة الاجتماعية وفى الحياة النفسية بلا اختلاف

ويخطئ من يرجعون بنشأة الحرية الفردية إلى الثورات الحديثة ، أو إلى العهد الذى شاعت فيه كلمة الديمقراطية على ألسنة الخاصة والعامة فى الجيلين الأخيرين

فالحرية الفردية — أو الديمقراطية — قد نشأت مع الأديان السماوية فى اليوم الذى آمن فيه الإنسان بالروح وآمن بالتكليف ، وآمن بالمساواة بين الأرواح أمام العزة الإلهية

يومئذ عرف الفرد أنه فرد له روح تناط بها الفرائض والواجبات ، ويناط بها الثواب والعقاب

ويومئذ أصبح الإنسان « وحدة » مستقلة أمام الله

ويومئذ قام أساس الديمقراطية فى الأرض قياماً لا يزول ولن يزول ، إلا أن يذهب التاريخ فوضى بغير دلالة وغير اتجاه

ولهذا آمنا حق الإيمان بهزيمة الطغيان فى هذا الصراع القائم على الرغم من ظواهر النجاح فى بداية الصراع . لأننا آمنا حق الإيمان أنه واقف فى طريق التيار الجارف ، وأن الإنسانية لو كانت تريد أن تدين بالقوة الغاشمة لما كانت بها حاجة إلى الأديان تظهر بعد القوة الغاشمة ، وهى — أى القوة الغاشمة — عند الإنسانية من بداية عهدها ، بل من بداية عهد الحيوان

ولهذا نفهم أن مشروعات الإصلاح على مثال مشروع بيفردج لا تدل على هزيمة الحرية الفردية ولا يمكن أن تدل عليها وتطمع فى النجاح

ولكنها تدل على التعاون بين الطبقات ، والتعاون بين الأمم ، والتعاون بين الأفراد

تدل على العالمية ، وهى اتساع لحرية الفرد فى العالم كله ، واتساع لحرية كل وطن من الأوطان

وهى تقدم فى الاتجاه القديم : الاتجاه الذى تجلى يوم آمن الإنسان بروحه وتكليفه واستقلاله بين يدى الله

فالحرب الحاضرة قد أظهرت أن الأمم تحارب متعاونات بين جميع طبقاتها ، وينبغى أن تجنى فضائل السلم فى جميع طبقاتها

وعلى هذا الأساس يقوم الإصلاح الصحيح السالك فى سبيل التاريخ ، وليس على أساس التناحر بين الطبقات بغير أمل فى التوفيق والتعاون والسلام

تبقى الطبقات وتتعاون على المثال الذى ظهر فى هذه الحرب

العالمية . فتؤخذ الضرائب من القادرين لمونة من يحتاجون إلى المونة ومن تتوقف على معونتهم سلامة البنية الاجتماعية

وقد أوشك أن يصبح المالك فى ضيعته أو فى مصنعه مديراً موظفاً من قبل الأمة لا يتقاضى أجراً على عمله أكثر من الأجر الذى يتقاضاه المدير ، بعد حسبان الضرائب والأتاوات

فهذا هو اتجاه الإصلاح فى المستقبل القريب ، وسيمضى على هذا النحو فيما نعتقد إلى المستقبل البعيد

على أساس الديمقراطية والحرية الفردية والتعاون بين الطبقات ينبغي أن يقوم كل إصلاح محمود العواقب ، وعندئذ نستطيع أن نقول إن انتصار الديمقراطية منطق مفهوم ، لأنه انتصار للحرية الفردية وللحرية العالمية ، ومرحلة معقولة من مراحل التاريخ .

عباس محمود العقاد

أظــــرف يوم !

للدكتور زكى مبارك

إنتظر أبنائى سيارة الليسيه خمسين دقيقة أو تزيد . انتظروها على باب البيت ، بين المطر المنهمر والريح العَصُوف

وحين أشفقتْ أمهم فدعتهم إلى الدخول أجابوا ضاحكين : هذا أظرف يوم !

ثم جاءت السيارة فأقلّتهم برفق إلى معهدهم المحبوب ، ولعلهم لم يحبوا معهدهم بأكثر مما أحبوه فى هذا اليوم ، فلن تكون الدروس غير حكايات وأقاصيص ، ولن يكون المدرسون غير أطفال كبار يفرحون بمنظر المطر الهتّان !

وبقيت فى البيت أسائل نفسى عما أصنع ، فما يجوز أن أخرج فى مثل هذا اليوم ، وهو لا يصلح لغير اقتناص الأوابد من الذكريات

لم يكن المطر غريباً علىّ ، فقد تمتعت به أعواماً فى الديار الفرنسية . ولن أنسى فضله يوم دخلت مدينة الهافر أول مرة فى سنة ١٩٢٧ ، فقد أتاح الفرصة لحادثة ريحانة مطلولة على غير ميعاد ... نظرت إليها بعين الغريب الحائر وقلت :

Madame, est-ce qu'il pleut souvent ici ?

وبين السؤال والجواب تلاقى روحان ، وكان المطر سبب التلاقى

وفكرت فى « المطرية » التى نسيتها على سُلّم البيت المحبوب فى باريس ، يوم فارقتها آخر مرة فى صيف سنة ١٩٣٣[1]

وعلى محطة ليون تذكرت تلك « المطرية » ، وجاءت فلانة لتوديعى ، فلانة التى كانت قالت :

Docteur, vous vous trompez !

يومئذ أوصيت فلانة بأن ترجع إلى البيت المحبوب لتأخذ المطرية التى نسيتها هناك

تذكرت وتذكرت

تذكرت أنى حين رجعت إلى بغداد فى صيف سنة ١٩٣٩ مع « وفد مصر » للاشتراك فى تأبين الملك غازى رأيت فى شارع الرشيد إنسانة تشبه تلك الفلانة ، فطوّفت حولها مرات إلى أن صرخت : Tiens ! Je ne vous pas reconnu !

فقلت : لا غرابة فى أن لا تعرفينى ، فشمس بغداد تزيغ عيون الباريسيات

كان أمر هذه الفلانة عجباً من العجب ، كانت فتاة غربية الروح ، وقد تركت دينها لتعتنق دينى ، بعد مصاولات روحية يضيق عن شرحها هذا الحديث

وما السبيل إلى قضاء لحظات أعرف بها كيف تحدّرت هذه الموجة إلى بغداد ؟

— ندخل هذا الفندق ؟

— لا ، فهو فندق مطروق !

— وهذا الفندق ؟

— هو فندق حوله شبهات !

(١) المطرية هى الكلمة التى أختارها ترجمة لكلمة Parapluie ، ويخطىء من يسميها شمسية

-- وإلى أين نتجه يا شيطانة ، وقد عرفت من خفايا بغداد أضعاف ما أعرف ؟

— إلى فندق مود

وكان فندق مود هو الفندق الذى نزل به « وفد مصر » ، وكان اجتماعى بها فيه يُــعَدّ فضيحة فى أنظار المصريين والعراقيين

قال حمد باشا الباسل : ما تلك بيمينك يا دكتور مبارك ؟

فأجبت : هى حيّة هديتها إلى الإسلام يوم كنت فى باريس !

ثم دارت بينى وبينها كؤوس من الشراب الحلال

وهممت بدفع ثمن الكؤوس فاعترض الأستاذ عبد المسيح وزير ، وتلطّف حمد باشا فقال : لو رأيتكما بمصر لجعلت « قصر الباسل » مقركما إلى آخر الزمان !

ثم دعانى حمد باشا إليه فى جانب من بهو الفندق ليُسرّ فى أذنى كلمات

— ما هذا الذى تصنعه بنفسك يا دكتور مبارك ؟

— وماذا أصنع بنفسى يا باشا ؟

— ما قدومك علينا بهذه المخلوقة المتبرجة ؟

— هي التى قدمت علىّ من باريس

— أنت عرفت هذه الفتاة فى باريس ؟

— وهديتُها إلى الإسلام

— أنت تَهدى إلى الإسلام ؟

— إسألها تخبرك !

ثم نظرت إلى حمد باشا وقلت :

— هل تعرف « الحَلُوبة » ؟

— وما الحلوبة ؟

— هى أمطار عنيفة مزلزلة تفاجىء العراق فى بعض أيام الشتاء

— فهمتُ فهمت !

— ما ذا فهمت يا باشا ؟

— فهمت أن هذه حلوبة تقع على قلبك فى الصيف لا فى الشتاء

— نعم ، وبهذا تم المعجزة فى الحياة العراقية !

ثم عاد حمد باشا فقال :

— أيطول هذا المجلس ؟

— أى مجلس ؟

— المجلس الذى يدور فيه الغزل بطريق العلانية !

ثم التفتّ فرأيت الجارم بك يوغل فى التنكيت ، ورأيت الدكتور عزام يروى أشعاراً ، فأخذت بذراع الفلانة وانصرفت ولكن إلى أين ؟

إلى الفندق الذى تقيم به مع خطيبها العراق ، وكانت حدثته عنى أحاديث شوّقته إلى أن يرانى

— دكتور ، أنت الذى سميت هذه الفتاة ليلى ؟

— وأنا الذى علمتها كيف تكتب اسمها بحروف عربية

— وترى أن أقترن بها ؟

— وأرى أن « تتطوق » بها ؟

— إيش لون ؟

— تلك عبارة مصرية ، ستفهمها بعد حين

لم أدر ما جدّ فى الدنيا بعد ذلك اليوم ، وإنما أذكر أنى تلقيت خطاباً من (ليلى المريضة فى باريس) تقول فيه :

قُــتِل السيد رستم حيدر ، وكان النصير الأوحد لخطيبى ، فما الذى ترى فى مصيره ومصيرى ؟ »

فى تلك اللحظة تذكرت سعادة الأستاذ طه الراوى ، وهو غاية فى كرم النفس وشرف الروح ... هل أكتب إليه بخبر فلانة وفلان ؟

وأسرعت الدنيا فأثارت الحرب ، وأمست أحاديث المحبين عبثاً فى عبث ، ومجوناً فى مجون !

كانت الحرب هى «الحَلُوبة» الدنيوية لا العراقية ، والعراق مظلوم فى اتهامه بالشقاق ، فتاريخه فى أسوأ أحواله أهدأ من تاريخ الأمم التى تدّعى الشوق إلى السلام والقرار والاطمئنان

حلوبة العراق لا تدوم غير ساعات ، أما حلوبة الغرب فلا تنقضى إلا بعد سنين

ما هذا الذى أرى ؟ ما هذا ؟ ما هذا ؟

هذه أمطار وبروق ورعود !

لم يبق من تقليد مصر للغرب إلا أن تتشبه بجوه فى هــذا الهذْر المقوت !

وأنظر فأرى صدرى ينقبض حين يخفّ المطر لحظة أو لحظتين ، وكان المظنون أن أفرح بميل الجوّ إلى الاعتدال

ما السر فى هذه النزعة الغريبة ؟ ما السر فى الفرح بهطول الأمطار فى بلاد أغناها النيل عن الغيث ؟

لعل ذلك يرجع إلى أن « الإنسان الأول » يحتلّ صدورنا من حيث لا نعرف ، وإلا فكيف جاز لأبنائى أن يقولوا إن هذا اليوم هو أظرف يوم ؟

كان الماء من أسباب الوقاية عند القدماء ، الوقاية من غارات السباع والوحوش ، وكانت المياه سبباً فى انتصار المصريين فى أعظم معركة من معارك الحروب الصليبية ، وهى المعركة التى اشترك فيها النيل ، فقد أحاط بالأعداء من كل جانب ، وقضى عليهم بالخذلان

وهنا أذكر حواراً دار فوق منبر الأزهر فى أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ :

حضر الخطيب محمد بك أبو شادى ذات ليلة ليحدثنا عن الأخطار المخوفة من سيطرة الإنجليز على السودان ، فقال فيما قال إن تلك السيطرة قد تكون سبباً فى منع مياه النيل عن الأراضى المصرية

عند ذلك علوت المنبر وقلت ينبغى أن نبحث عن أسباب منطقية لاحتفاظ مصر بالسودان . وأنا أرى أن مسألة المياه قليلة الأهمية ، لأن حياة السودان فى تحدر مياه النيل إلى الأراضى المصرية . ولو وجد السودان من يساعده على احتكار مياه النيل لتعرض لآفات من الحُمّيات لا يعلم أذاها غير عــلّام الغيوب

ثم ماذا ؟

ثم طافت بالقلب خواطر حول شعور المصريين بظواهر الوجود وأقول بصراحة إن الذين ينظمون الأغانى يخطئون أبشع الخطأ فى الإكثار من التغنى بالرياض والبساتين

إن المصريين لا يفهمون هذه الأشياء ، ولن يذوقوها لو فهموها ، لأن مصر خضراء فى جميع الفصول ، وهى من أجل هذا لا تشعر بقدوم الربيع ، لأن دهرها كله ربيع

الروض كلمة غير مفهومة ، أو كلمة لا تذاق ، فى الديار المصرية على نحو ما يفهمها ويذوقها شعراء العرب فى البلاد التى تتأذى بالشتاء

المصرى لا يدرك تقلبات الجو إلا فى أندر الأحوال ، وهل فى مصر جوٌّ يتقلب ؟

دخلت على المسيو دى كومنين وأنا محزون فى يومٍ مَطيرٍ فقال :

Mon cher ami, aujourd'hui il pleut, demain il fera beau.

ولكن المطر لم ينتظر إلى الغد ، فقد صفت السماء قبل أن ينتهى الحديث

والمسيو دى كومنين يلازم سرير المرض منذ أسابيع ، ولم أفكر فى عيادته لأنى أكره رؤية الآساد وهى مراض

سمعت أيضاً أن الأستاذ محمد الهمياوى مريض ، وأن أطباء مستشفى الدمرداش قد احتجزوه عامدين بعد الشفاء ، لأنهم علموا أن أحد أبنائه مات ، وليس من المصلحة لمريض فى دور النقاهة أن يدخل بيتاً شعاره السواد

هل يعرف أبناء هذا الجيل أن الهمياوى كان أخطر مفنّد لمشروع « ملنر » فى السنين الخوالى ؟

عند الله جزاؤك يا صديقى ، لا عند الوطن ، فقد كدت أومن بأن الوطن المصرى لا يحفظ الجميل

الهمياوى مريض ، وسيعافى بإذن الله حين يقرأ هــذه الكلمات ، فلعل دواءه فى أن يجد صديقاً يذكره بالخير وهو عليل

ما هذا الجو العبوس ؟ وما هذا المطر الهتُون ؟

وما شقائى بمرض الأستاذ محمد الهمياوى ومرض المسيو دى كومنين ؟

وأين الأستاذ محمد عوض جبريل ؟

أين إخوان عرفتهم يوم كانت الدنيا تسمح بأن يأنس صديق إلى صديق ؟

إن الأستاذ أسعد داغر مريض منذ شهرين ، وهو صورة من صور الوداد الصحيح ، فأين من توجع لعلته بقصيدة فى جريدة الأهرام ، وهى تنشر قصائد فى التوجع لمرضى الروس واليونان ؟

ثم ماذا ؟

ثم أنتهز هذه الفرصة لتوضيح حقيقة غفل عنها أكثر الباحثين فأقول :

ليس فى مصر أحزاب بالمعنى الذى يفهمه الأوربيون ، لأن جو مصر لا يوحى بالاختلاف كما يوحى بالائتلاف

وإذن يكون النجاح الحزبى فى مصر مقصوراً على الجماعات التى تعرف كيف تأتلف ، وهذا هو الواقع بالفعل ، فما فازت جماعة فى مصر إلا بمراعاة ما فى الجو المصرى من الثبات

والفرد كالجماعة فى مصر ، ففى مقدور كل فرد أن ينجح إذا مشى فى طريق واحد إلى آخر الشوط ، أما التنقل من حال إلى أحوال فهو نذير الانحلال

الإنسان ابن جوه ، وجو مصر لا يعرف التقلب ، ولو راجعنا تواريخ الفائزين فى معترك الحياة المصرية لرأيناهم جميعاً من أهل الثبات فى الأفكار والآراء

إن المصرى يتكلف ويتصنع حين يرائى ، لأن جو مصر لا يساعد على الرياء

والحقد الأسود فى مصر لا يقع إلا من رجل نَسَبُهُ فى مصر مدخول . وبكلمة واحدة تصفى ما بينك وبين خصمك من أبناء هذه البلاد ، لأن فطرة المصرى منقولة عن جوه ، وهو غاية فى الصفاء

ولكن ما هذا اليوم « الملخبط » ؟

إنى أخشى أن يجعل مقالى هذا « لخبطة فى لخبطة » !

هو ذلك ، فقد انتقلت من حديث إلى أحاديث بلا نظام ولا ترتيب .

سيصفو الجو ، سيصفو بعد ساعات ، لا بعد أيام

الإنسان ابن جوه ؟

كذلك قلت ، فما بالى أعانى شجوناً تحترب فى جميع الأحايين ؟

ما حالى فى دنياى ؟ وما نصيبى من الجو المفطور على الصفاء ؟

لا بأس ، فبحرف أو نصف حرف أبدّد ما حولى من المصاعب حين أريد ، ولن أريد ، لأن الصراحة فى الخصومة ممنى تقلتُه عن وطنى ، وأنا لوطنى أوفى الأوفياء

أعظم عيب فى مصر هو أنها لا ترضى عن التفاوت فى المواهب فهى لا تلتفت أبداً إلى الأوساط من الرجال فى أى ميدان

وهذا العيب فضيلة عبقرية ، ونحن به فرحون

لن نترك فرصة تمرّ بلا برهان على صحة البنوّة لهذه السماء وما صحَت فى غير مصر سماء ، فتقشّعى أيتها الغيوم الدخيلة على سماء هذه البلاد

هذا أظرف يوم ؟

نعم ، هو أظرف يوم ، لأنى أسلمت فيه العنان للقلم الجموح

زكى مبارك

الحكم الذاتي في المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تتمة)

وهناك مسألة أخرى يصح التحدث عنها ، وهي مسألة الإيماز suggestion والحكم الذاتي

فللإيماز أشكال كثيرة . ومن أعود هذه الأشكال بالفائدة شكلان : الإيماز الإيجابي ، والإيماز السلبي . والإيماز السلبي فيما يبدو أكثر فائدة في مضمار التربية

فالمربي يركن إلى الإيماز الإيجابي حين يجد تلميذه أو تلاميذه ينهجون سنناً يؤدي بهم فيما بعد إلى إعوجاج تربوي . فإذا لم يرعو تلميذه أو تلاميذه عن انتهاج هذا السنن فله حينئذ أن يسلك أحد سبيلين : فإما أن يصطنع العسف ، وإما أن يرفض تحمل مسئولية ما يحدث . وصفوة القول أنه إذا وجد المربي تلميذاً ينتهج سنناً في انتهاجه ضرر تربوي ، فعليه إذا استطاع أن يحول بينه وبينه ، وإلا فليخبر من بيدهم القوة

على أنه يجب ألا يركن إلى الإيماز الإيجابي كثيراً ، ولكن إذا مست الحاجة إليه فليصطنع بغير تردد

أما الإيماز السلبي فهو أدعى إلى الاهتمام . ذلك لأنه الوسيلة التي يصطنعها المربي لتدريب تلاميذه على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب ، وبذلك يعمل على أن يحقق لهم شخصيتهم العقلية . ومتى مرن هؤلاء التلاميذ على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى مرحلة العمل المثمر

ولنضرب للإيماز السلبي مثلاً نوضح به هذا الذي نقول . فلنفرض أن هناك فصلاً يصطنع فيه الحكم الذاتي ، وأن تلاميذ هذا الفصل يبحثون مثلاً مشكلة التأديب . فهناك نجد هؤلاء التلاميذ عاطلين من العقول الناضجة ومن الخبرة بالحياة ، وأنهم لهذا يغفلون في اعتبارهم بعض الأحوال ، فإذا ما وصلوا إلى رأي ما في هذه المسألة ، فإن رأيهم هذا يكون رأياً مبتسراً غير مبني على اعتبار جميع الأحوال . وهنا يأتي دور المدرس ، فإما أن يضع في نطاق اعتبارهم حالة ما لم يتناولها رأيهم ، وإما أن يسألهم مباشرة عما إذا كان خطر ببالهم أنهم أغفلوا اعتبار عامل من العوامل . فإذا أدى بهم هذا إلى أن يعيدوا النظر في رأيهم ويصلوا بذلك إلى كنه المسألة ، فإن المدرس يكون حينئذ قد اصطنع الإيماز السلبي ليعينهم على الوصول إلى هذا الرأي الصحيح . وإذا لم يستطيعوا الوصول إلى هذا الرأي الصحيح فعلى المدرس حينئذ أن يدعهم وما وصلوا إليه . فإنهم سيدركون بالخبرة أنهم كانوا على خطأ ، وأنهم لم يدخلوا في اعتبارهم جميع الحقائق

وهنا مسألة ثالثة هي مسألة تأثيرات repercussions الحكم الذاتي . فللحكم الذاتي تأثير فيما يتعلق بالحياة ، وتأثير فيما يتعلق بالنجاح في الحياة . ولنتكلم عن كل من هذه التأثيرات

١ — فيما يتعلق بالحياة

من وجوه النقد التي يمكن أن توجه إلى نظام الحكم الذاتي أنه يجبل التلاميذ على أن يحيوا حياة مثلى بينها وبين واقع الحياة أمد بعيد ، بحيث أنهم حين يلجون باب هذه الحياة يجدون أنفسهم مضطرين إلى أن يفصلوا مما نشئوا عليه لينغمروا فيما هم فيه

والجواب على هذا الاعتراض أن الحكم الذاتي حين ينشئ التلاميذ على أن يحيوا هذه الحياة المثلى يعمل على إصلاح واقع الحياة وعلى معالجة ما فيها من عيوب . أما إذا نشأ التلاميذ على أن يحيوا حياة تشبه حياتهم الواقعة فإنه حينئذ لا يضطلع بأي إصلاح ، وإنما يضمن للحياة الواقعة بقاءها على ما هي عليه من تخلف وقصور .

وهناك جواب آخر يتلخص في أنه يلاحظ دائماً في أن التلاميذ يسلكون مسلكاً مضاداً لما يريده عليهم أساتذتهم . فإذا كان أساتذتهم يريدونهم على اعتناق الآراء القديمة البالية ، فإنهم على العكس من ذلك يعتنقون الآراء الثورية الهادمة ، وإذا كانوا يريدونهم على اعتناق الآراء الثورية المجددة فإنهم على العكس من ذلك ينتهجون نهجاً محافظاً . فهذه الحال الأخيرة هي ما نراه في نظام الحكم الذاتي . على أننا لا نقصد بالمحافظة

هنا الجمود ، بل المحافظة على خير ما فى التراث القديم من تقاليد ثبتت على محك الزمان . ومعنى هذا كله أن نظام الحكم الذاتى يبث فى نفوس التلاميذ روحاً مجددة ولكن على أساس من القديم ، روحاً تجمع بين طرافة الجديد وعراقة القديم ، روحاً تجدد ولكن لا تبدد

٢ — فيما يتعلق بالمنزل

لا شك فى أن نظام الحكم الذاتى الذى ينشأ عليه الطفل فى المدرسة يطبع هذا الطفل بطابع خاص ويحيله شخصاً آخر ويبث فيه روح الحرية والشجاعة ، بحيث تراه فى المنزل وقد خلع رداءه القديم ، فأخذ يكثر من الأسئلة ويجادل أبويه ولا يكتم رأياً من آرائه ، ويصبح بذلك كله مبعث فوضى واضطراب فى البيت . ولكن بمرور الزمن نجد هذا الطفل قد أخذ يستشعر روح السعادة ، ويكون بذلك مبعث سعادة فى البيت .

فإذا ما لاءم الوالدان بين نفسيهما وما يعتنقه من رأى فإن الحكم الذاتى يكون حينئذ قد امتد أثره إليهما عن طريق غير مباشر . أما إذا لم يستجيبا له فهما على الأقل سيضطران إلى معاودة النظر فى فلسفتهم فى الحياة .

وصفوة القول أن للحكم الذاتى فى المدرسة يداً تستطيع أن تمتد إلى المنزل فتتناوله بالتغيير والتبديل .

٣ — فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة

يخيل إلىَّ أن نظام الحكم الذاتى يؤهل التلاميذ لأن يكونوا فى المستقبل رجالاً يقومون بما تفرضه عليهم الحياة من واجبات ، وزعماء يقودون الجماعات ويسوسون الجماهير . وليس من شك فى أن هذا راجع إلى ما يبثه نظام الحكم الذاتى فى نفوس التلاميذ من الاعتماد على النفس والقدرة على سياسة الغير .

* * *

وللحكم الذاتى أنصار وخصوم . فكما أن له أنصار ينادون بوجوب اصطناعه فى كل مدرسة فإن له خصوماً لا يفهمون منه إلا أنه نوع من البلشفية Bolshvism ، نوع من البلشفية يتخلى فيه المدرس عن سلطته التقليدية ليتولاها عنه التلاميذ ، وهم يقولون إنهم لا يخدعون بما يزعمه أصحاب هذا النظام من حق المدرس فى الإشراف والتوجيه . ذلك لأنهم لا يعترفون بسلطة إلا سلطة المدرس ، ولا يؤمنون بحق إلا حقه

فهؤلاء هم خصوم الحكم الذاتى . على أنهم لن تقدر لهم الغلبة عليه . ذلك لأنه صدى للحياة المتجددة ، وهم صدى للقديم الموغل فى القدم ؛ وكيف يميت الصدى الحى صدى كاد يأ كله الفناء ؟ ألا إن الحياة لا تبقى إلا على ما يسايرها فى سيرها الأبدى ، أما ما يتخلف عن مسايرتها فقد حق عليه أن يموت على مدرجة الطريق غير مرثىٍّ من أحد أو مبكىٍّ من أحد . هذه سنة الحياة ، وسنة الأحياء ، وسنة كل شىء .

السيد يعقوب بكر

ميـــــدان تونس

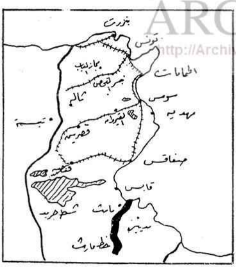
للأستاذ محمد إبراهيم حسن
مدرس بكلية الآداب

تمثل تونس الميدان الأول فى حوض البحر المتوسط إذ تواجه فيه قوات المحور جيوش الحلفاء فى أكثر من موضع . وكل من الطرفين يدافع دفاعاً مستميتاً . وستحدث قريباً فى هذا الميدان موقعة خطيرة ستلعب دوراً هاماً فى الحرب الحاضرة فى هذا الشطر من العالم

ذلك لأن المسيطر على هذا الميدان يتحكم فى كل أجزاء الحوض المتوسط . فإن كتب النصر للمحور فقد حمى بذلك جنوب أوربا ، أو على الأقل إيطاليا من غزو الحلفاء . بل لا يبعد أن يعيد المحور كرته فى السيطرة على شمال إفريقيا ليحول حوض البحر الأبيض إلى بحيرة محورية . أما إذا كتب النصر للحلفاء فستكون الطامة الكبرى على المحور إذ تتعرض إيطاليا للغزو لا محالة ، فالشقة قريبة جداً . ولا سيما أن الحذاء الإيطالى مكشوف من جميع نواحيه تقريباً لضرب الطائرات وإصابة الأهداف ، كما أن تحصين هذه الشواطىء الطويلة أمر صعب على المحور بعد أن أنهكته روسيا من ناحية ، وحاصرته بريطانيا بحرياً من ناحية أخرى . كما أن استيلاء الحلفاء على تونس سيطهر شمال أفريقيا من المحور ، ويسهل الملاحة فى هذا الحوض ، وتعود الطرق الملاحية مطمئنة إلى حد كبير بين الهند والجزر البريطانية عبر مضيق جبل طارق . ولا شك أن هذا النصر سيؤثر كثيراً على سياسة الدول المحايدة فى هذا الحوض ونعنى مصر وتركيا وأسبانيا .

ومما يزيد فى أهمية هذا الميدان أنه يساعد كثيراً فى التموين ، فتونس غنية بحاصلاتها الزراعية من حبوب وفاكهة ، وسواحلها تسيطر عليها موانى صالحة لإيواء السفن ، مثل : تونس وبنزرت وقابس وسوس والحمامات ، وكلها تقع على رؤوس خلجان عميقة ، كما أنها تتصل بالداخل بشبكة من السكك الحديدية تمر فى الأودية والممرات الجبلية ، كما أن كل هذه الموانى على اتصال وثيق بالسكك الحديدية والطرق الصالحة

من هذه النظرة العارضة يبدو السبب واضحاً فى هذا القتال العنيف وتلك المناصرات التى نسمع بها فى الصحف بين وقت وآخر . ولكن الغريب فى هذا الميدان هو ضعف التقدم من الجانبين ؛ فلقد عهدنا فى الجيوش الألمانية تلك الحروب الخاطفة والدقة البالغة اللتين ظهرتا فى الإغارة على نروج والدانمرك فى إبريل عام ١٩٤٠ ، وعلى بلجيكا وهولندا وفرنسا فى مايو من ذلك العام . ولكن هذه الآلة الدقيقة لم تعمل فى ميدان تونس بدقتها المعهودة ، وبدلاً من أن تنتهى من حركاتها الحربية فى أسابيع معدودات نجدها وقد مضى عليها بضعة شهور وهى لا تزداد إلا بعداً عن الغرض الذى تنشده



(ميـــدان تونس)

——— حدود سياسية
-------- خطوط حديدية

ولعل هذه الظاهرة تعلل بعوامل كثيرة منها : طبيعة هذا الميدان المعقد إذ ينقسم إلى إقليمين متباينين هما الإقليم الجبلى

الذى يشمل معظم الميدان ، والإقليم السهلى الذى يمثل شريطاً يضيق ويتسع . ويتكون الإقليم الجبلى من سلسلة الأطلس البحرية فى الشمال ، وسلسلة أطلس الصحراء فى الجنوب ، وبينهما الطرف الشرقى من هضبة الشطوط ، ويكثر فى هذا الإقليم الممرات الوعرة مثل ممر قصرين الذى استولت عليه القوات الأمريكية أخيراً . وهذه الممرات تمثل كميناً صعباً وتعقد شباكا معقدة لكل من الطرفين المتحاربين . ويقطع هذه الممرات السكك الحديدية التى تسهل اتصال مدن الداخل بموانى الساحل .

أما الإقليم السهلى فيحيط بالإقليم الجبلى من ثلاثة مواضع : فهو سهل ساحلى ضيق فى الشمال تشرف عليه الأطلس البحرية ، ويضيق جداً حول بنزرت ، ثم يبتعد قليلاً عن تونس . وهو فى الجنوب قد شغل معظمه ببحيرة شط الجريد . أما فى الشرق فيمثل شريطاً ساحلياً يتسع فى الوسط ويضيق فى الشمال حيث تقرب الأطلس البحرية من الساحل ، ويضيق فى الجنوب حيث تقرب أطلس الصحراء من الساحل فى منطقة قابس . ولا شك أن الموضعين خطيران من الناحية الحربية لأن كلا منهما يمثل عنق زجاجة تسهل للمسيطر عليه مهمة الدفاع والهجوم عند الضرورة . ولذلك يرجح أن القوات الألمانية المتقهقرة فى طرابلس لا ينتظر أن تقاوم كثيراً عند خط مارث بل ربما تحصن نفسها عند عنق قابس إن أعطيت الفرصة

يظهر إذن أن هذا الميدان معقد جداً من الناحية الجغرافية مما يصعب الحركات الحربية ، فإن كان المناخ هو العامل الأول لبطء الحركات العسكرية فى الميدان الروسى فى فصل الشتاء . فإن طبيعة السطح هى العامل الأول لبطء تقدم الجيوش فى الميدان التونسى ليس فى الشتاء فقط بل طول العام .

ومما زاد فى هذا البطء من الجانب الألمانى هو تقسيم القوات المحاربة : قسم فى الشمال وقسم فى الوسط فى منطقة سيدى بوزيد وقسم فى الجنوب يمثل الجيش الألمانى المتقهقر ، والجانب المحورى يعمل على الاتحاد لضرب الحلفاء ضربة قاضية ، وجانب الحلفاء يعمل على العزلة لضرب كل على حده . ولا شك أنه حتى الآن من الصعب أن نحكم أى الكفتين هى الراجحة .

وهناك عامل ثالث لا يقل عن العاملين الأولين أهمته وهو أن كلاً من الطرفين قوى صلب الجانب مصمم على الدفاع راغب فى النصر . ويواجه المحور عدواً من نوع جديد يخالف ما صادفه فى تلك الدول الضعيفة التى اكتسحها فى أول الحرب وظن بذلك أن النصر بسرعة خاطفة هو غرضه الأول ولا شك أنه بالغه . فاليوم يواجه فى روسيا وتونس عدواً قوياً . ولا شك أن الغلبة لمن يصمد فى الميدان .

محمد ابراهيم حسن

حكم فى الجنحة العسكرية ٣٦ بنى مزار سنة ١٩٤٣ بجلسة ٨-٢-٩٤٢ بحبس أبو بكر حمودة شحاتة جزار بمعصرة حجاج ثلاثة شهور شغل وغرامة ٢٠٠ جنيه والمصادرة لبيعه لحم بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٦ - ١٢ - ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٦ منيا القمح سنة ٩٤٣ بحبس وحيدة عطية مندور من منيا القمح ثلاثة شهور بشغل وغرامة ١٠٠ جنيه لعرضها للبيع قمح بأزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ٩٢٠ سنة ١٩٤٢ السيدة ضد حسين على العربى بغرامة خمسين جنيها والنشر والتعليق وغلق المحل ثلاثة أيام والمصادرة لبيعه أرزا بأزيد من التسعيرة

واســـط مدينة الحجاج

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

لا يخفى على المتتبع ما للثقافة والعمران فى أية بلدة من البلدان من تأثير عظيم يقيم لهـا وزناً كبيراً بين باقى المدن والأمصار . فقد يتحدث المتحدث عن بلدة واحدة ذات شأن فى مملكة من الممالك فتجعل البلدة لهذه المملكة شأناً بين الأمم والشعوب . وفخامة المدن نتيجة الثقافة والعمران ، وهما أساسان رصينان فى أسس الحضارة البشرية التى سمت على أحوال باقى المخلوقات فى الطبيعة . ونقصد بالثقافة العلم والفن ومعاهدهما التى تدعى بالمدارس والجامعات على اختلاف أشكالها وأنواع مسمياتها . فهى المناهل الرائقة للعلم والفن . وكلما ازداد عدد هذه البيوت ازداد مقدار التقدم الثقافى والتهذيب العلمى وبهما تكمل سيادة الأفراد فى المجتمع البشرى . وكذلك العمران ونقصد به المؤسسات المتنوعة لكل ما ينفع الفرد فى حياته سواء أكان ذلك من أجل صحته أم عيشه أو اكتسابه . كل هذه المؤسسات تعود عليه بالنفع العميم لمواطنيه كافة من أبناء قومه وغيرهم .

ولقد دلت أبحاثنا عن تاريخ واسط الذى ما زلنا ندأب على استقصاء أخباره أن لمدارس هذه المدينة المندثرة أهمية كبيرة فى تاريخها وإن كان ما توصلنا إلى معرفته منها قليلاً . فإن معاهدها الثقافية لم تقتصر على عدد معلوم تحيط به المعرفة بل كانت هنالك فى واسط الربط التى كانت تكون بمثابة مدارس تدرّس فيهـا علوم الدين وخاصة القرآن الكريم ، وما يتعلق به من التفسير وما يخص قواعد الصرف والنحو وعلوم البيان والبديع والنثر والشعر ، وكذلك الفقه والعلوم الشرعية وفلسفة الكون والتوحيد وغيرها ؛ كما أننا نعلم أنه كان يتخذ فى كل مسجد من المساجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم الدينية . فكان يعتبر كل مسجد بمثابة مدرسة من المدارس ، وكان فيها كتاتيب لتعليم الصغار وتهيئتهم لقبول هذه العلوم . ولم تشتهر مدينة واسط كما يظهر لنا إلا بالمدارس الآتى ذكرها على ما دونه المؤرخون الرحالون من أبنائهـا ، ولعلهم لم يجدوا أشهر منها فى زمانهم . فأولاها مدرسة الأمير خطلبرس ، وكانت تقع هذه المدرسة بالقرب من دجلة فى الجهة الشمالية الغربية من الجانب الشرقى كما يغلب على الظن ، لأن مدينة واسط كانت راكبة دجلة من الجانبين كبغداد . وقد نص على تعيين موقعها العلامة المؤرخ ابن الدبيثى فى مخطوطه المحفوظ الآن فى الخزانة الأهلية بباريس حيث قال فيه : « جعفر بن مظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة . توفى بواسط سنة ٦١٠هـ . فدفن بها بمدرسة (خطلبرس) أعلى البلد » اهـ[١] . وقد سميت بهذا الإسم نسبة إلى أحد الأمراء الذين حكموا فى واسط اسمه خطلوبرس ذكره جماعة من المؤرخين يطول بنا تفصيل أقوالهم هنا[٢] . وهى من مؤسسات القرن السادس للهجرة لاتفاق أكثر المؤرخين على تحديد وجود الحاكم المذكور فى هذا القرن . ونستدل من أخبار هؤلاء المؤرخين أن المدرسة كانت كبيرة حتى كانت فيها مقبرة لدفن مشاهير الرجال العلماء فيها . وذكر ابن حجر فى الدرر مدرسة بواسط تعرف بالمدرسة البرانية لوقوعها فى أعلى البلد ولعلها هى لاتفاق المؤرخين على تعيين هذا الموضع[٣] . وتليها مدرسة الغزنوى بواسط وهو : محمود بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الفضل الغزنوى حدث بكتاب تفسير الفقهاء ، وتكذيب السفهاء لأبى الفتح عبد الصمد بن محمود بن يوسف الغزنوى عن ولده القاضى يحيى بن عبد الصمد عن أبيه ذكره الحافظ ابن النجار وقال : صحب أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالى وأخذ عنه علم الوعظ وقدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ثم انتقل إلى واسط فسكنها إلى حين وفاته . وقرأت فى كتاب القاضى أبى الحسين على الواسطى بخطه قال : توفى محمود الغزنوى يوم الجمعة ودفن يوم السبت ثامن شعبان

(١) أفادناه الدكتور مصطفى جواد

(٢) راجع الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٢١٢ ط مصر وكتاب العبر لابن خلدون جـ ٣ ص ٥١٩ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٢٤ ط مصر وكتاب الجامع المختصر لابن الساعى الخازن فى حوادث سنة ٥٩٧هـ

(٣) الدرر الكامنة للعسقلانى جـ ٤ ص ٤١٩ وطبقات الشافعية للسبكى جـ ٦ ص ٢٥٠

سنة ثلاث وستين وخمسمائة فى مدرسته بمحلة الوراقين وكان يوماً مشهوداً »[1] .

ثم تعقبها مدرسة شرف الدولة محمد بن وزام الجاوانى الكردى ورد ذكره فى مخطوطة تاريخ واسط لأسلم بن سهل ابن حبيب الرزاز الواسطى المعروف ببحشل حيث ذيلت فى آخر المخطوطة الفقرة التالية : « سمع جميع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل . . . وذلك بواسط فى مدرسة شرف الدولة محمد ابن ورام نور الله ضريحه في مجالس آخرها الاثنين رابع عشر من ذى القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة »[2] . فإذا كان آخر قراءة المخطوطة فى هـذه السنة فلا شك أن تشييد المدرسة المذكورة يسبق هذا التاريخ المذكور بكثير

ثم تأتى بعدها مدرسة للحنفية ذكرها ابن الساعى الخازن وذكر مدرسها أبا المحاسن عبد اللطيف المعروف بابن الكيال الواسطى قاضى واسط المشرف على ديوانها الزمانى . تولى القضاء بواسط بعدأبيه . وكانت وفاة أبى المحاسن هذا سنة خمس وستمائة[3]

ومن مدارسها أيضاً المدرسة الشرقية الشرابية ذكرها ابن القوطى البغدادى فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ ، حيث يذكر فتحها فى هذه السنة بالجانب الشرقي من واسط على دجلة وهى التى أمر بإنشائها شرف الدين أبو الفضائل الشرابى للشافعية ، وكانت مجاورة لجامع كان داثراً فأمر بتجديد عمارته ورتب بها للتدريس العدل أحمد بن نجا الواسطى ومعيدان واثنان وعشرين فقيهاً ، وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها ، وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان تاج الدين معلى ابن الدباهى الناظر بواسط والقاضى والنقيبان : نقيب بنى العباس ونقيب بنى أبى طالب والشعراء والقراء ، وكان المتولى لعمارتها وجعل النظر إليه وإلى عقبه فى وقفها أبو حفص عمر بن أبى إسحاق الدروق[4] ، وكان ذا مال كثير فائض وجاه عريض عمر ، إلى جانب جامع ابن رقاقا رباطاً وأسكنه

(١) الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية لعبد القادر القوشى المصرى جـ ٢ ص ١٥٤ ط الهند

(٢) مخطوطة بحشل ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ فى المتحف العراقى ببغداد

(٣) الجامع المختصر جـ ٩ ص ٢٨٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

جماعة من الفقراء ، ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ويُسمع الحديث ، وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية . وأنشأ قريباً من مدرسة الشرابى هذه رباطاً آخر على شاطئ دجلة وتربة يدفن فيها ووقف عليها وقوفاً سنية[1] وممن درّسوا بالمدرسة الشرقية الشرابية عماد الدين زكريا القزوينى قاضى واسط صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد فلم يزل كذلك إلى أن مات . وكان حسن السيرة عفيفاً[2] . ومن مدارسها أيضاً المدرسة التى وصفها ابن بطوطة فى رحلته ولم يذكر اسمها وإنما يذكر اسم بانيها وهو الشيخ تقى الدين عبد المحسن الواسطى الذى كان من كبار أهل واسط وفقهائها ، وقال فيه إنه يعطى كل معلم بها كسوة فى السنة ويجرى له نفقة فى كل يوم ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم بها ثم يقول : « وقد لقيته وأضافنى وزودنى تمراً ودراهم » فتكون رحلة ابن بطوطة إلى واسط فى إبان تشييد هذه المدرسة التى قال فيها إنها مدرسة حافلة فيها نحو ثلثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعليم القرآن وهى من منشآت أوائل القرن الثامن الهجرى[3] . ويجد الباحث فى تاريخ واسط مدارس بأسماء المحدثين والرواة والفقهاء كانوا يتخذونها بأسمائهم أو يجعلون قسما من بيوتهم مدرسة يجتمع إليها طلاب العلم من المدينة أو من أنحاء أخرى

هذا مجمل ما تمكنت من العثور عليه من أخبار مدارس واسط . ويقينى أن وجود هذه المدارس فى مدد متقاربة هو الرجة العلمية التى حدثت فى أواخر أيام الدولة العباسية لا سيما عهد الوزير نظام الملك وزير آلب أرسلان وملكشاه السلجوقيين فهو الذى نعش الرح العلمى فى زمانه بفتحه المدارس النظامية فى أنحاء الشرق العربى والعجمى فتأثرت واسط هـذه الآثار وعاد لها نشاطها العلمى والثقافى وهى أم القرئين والمحدثين والفقهاء الذين درسوا وأفتوا فى مختلف البلدان العربية وأخصها بغداد مركز الخلافة العباسية حيث كثر فى معاهدها العلمية الأساتذة الواسطيون

ومن أخبار العمران فى واسط أن نذكر مارستانها وأطباءها الذين عثرنا على أسمائهم فى سياق البحث . وأول أطباء واسط

(١) و (٢) الحوادث الجامعة ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٣) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١١٤ ط مصر

تياذوق طبيب الحجاج بن يملك له نوادر. وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب وقد عمر طويلاً . صحب الحجاج والي العراق وخدمه بصناعة الطب ، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته ؛ وله تفاصيل مع الحجاج لا يسعنا ذكرها . وقد توفي بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة ، وله من الكتب كناش كبير أي كتاب جامع ألفه لابنه ، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها وشيء من تفسير أسماء الأدوية . وله تلاميذ أجلة تقدموا بعده . ذكره عدة مؤرخين . ثم يليه تلميذه فرات بن شحناثا الذي كان طبيباً لعيسى بن موسى الذي دعاه المهدي إلى خلع نفسه وتولية الهادي(١) ، ومن الأطباء أيضاً يوسف الواسطي الذي قرأ عليه جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع الذي كان من أطباء المقتدر وخواصه(٢) ومنهم أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني كان طبيباً مقدماً كأبيه ، وكان طبيب المقتدر خصيصاً به ، ثم خدم القاهر وإليه يرجع وعلى وصفه يعتمد . ومن أخباره أنه لما كان الخليفة الراضي بالله استدعى بجكم التركي سناناً وكان بواسط وسأله الانحدار إليه ولم يتمكن من الطلوع في ذلك قبل موت الراضي لملازمة سنان بخدمته ، فانحدر إليه وأكرمه ووصله . وله حديث طويل فيه نصح وإرشاد يطول بنا وصفه حتى أنه حمل بجكم على عمل دار ضيافة بواسط وقت المجاعة فأكرمه سناناً غاية الإكرام وعظمه غاية التعظيم(٣)

ومن أهم البيمارستانات التي شيدت بواسط البيمارستان الذي شاد بذكره المؤرخون ، أنشأه مؤيد الملك أبو علي الحسن الرخجي وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة مدبر دولة الخليفة القادر بالله العباسي في العراق جميعه سنة ٤١٣ هـ وأكثر فيه من الأدوية والأشربة والعقاقير ، ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه ؛ وصفه عدة مؤرخين أيضاً(٤) . ومن

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي إصيبعة جـ ١ ص ٢١ — ٢٣ ثم ص ١٦١ — ١٦٣ وأخبار العلماء القفطي مادة تاء وباء .

(٢) عيون الأنباء أيضاً جـ ١ ص ١٤٤

(٣) أخبار العلماء للقفطي مادة سين ونون .

(٤) الكامل لابن الأثير جـ ٩ ص ٢٣١ ط بولاق والعيني في عقد الجمان في حوادث سنة ٤١٣ وسنة ٤٣٠ وابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ وابن كثير في البداية والنهاية حوادث سنة ٤١٣ وغيرهم كالجامع =

مشاهير أطباء هذا البيمارستان أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطي . كان من الحذاق في الطب وله فيه إصابات حسنة وقد قتل في سنة ٤٩٧ هـ ، فيكون موته قريباً من عهد تشييد البيمارستان المذكور(١) . وممن نحن جديرون بذكره الطبيب الكبير موفق الدين أحمد بن محمد المعروف بأبي طاهر بن البرخشي كان من أهل واسط وكان فاضلاً في الصناعة الطبية كاملاً في الفنون الأدبية والفلسفة والحكمة والطب ، وكان كريم الشمائل ظريف المخايل لا يخالل إلا الأكابر ، ولا يألف إلا الصدور ، وكان مع ذلك مأوى الضعفاء وملجأ الملهوفين كثير الإحسان ، وقد كان من أهل القرن السادس للهجرة . قيل إنه كان حيا بواسط سنة ستين وخمسمائة ، وكان عنده أدب بارع ومعرفة بالنظم والنثر فلا يبعد أن أبا طاهر البرخشي كان من الذين خدموا في البيمارستان المذكور أو من الذين اتصلوا بأطبائه ما دام أنه كان إذ ذاك من مشاهير أطباء واسط ومن الذين عاشوا بعد تشييد البيمارستان المذكور(٢)

ومن الأطباء أيضاً أبو الفرج سعيد بن ابراهيم الواسطي ، هذا كان طبيباً وقساً وراهباً(٣) وممن نزحوا إلى واسط لممارسة هذه المهنة العظيمة الشأن أبو العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى الحكيم الطبيب النصراني النيلي الأصل نزيل واسط ، كان طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً في وقته عالماً بصناعة الطب مرتزقاً بها جيد المشاركة محمود المعالجة وله مع ذلك أدب طريف وخاطر في النظم ، وكان مولعاً بالألغاز والمعميات . توفي في أوائل سنة ستين وخمسمائة إذ كان معاصراً لأبي طاهر البرخشي المذكور آنفاً(٤)

هذا ما وقع إلينا من أخبار أطباء واسط ومارستانها ولعلنا نعثر على غيرهم في المستقبل والله ولي التوفيق .

(بغداد) **يوسف يعقوب مسكوني**

= المختصر لابن الساعي جـ ٩ ص ٢٢ في حوادث سنة ٥٩٠ وآخر من أخذ عنهم الدكتور احمد عيسى المصري صاحب تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٩٨

(١) الكامل لابن الأثير جـ ١٠ ص ٢٠٩

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي إصيبعة جـ ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

(٣) المجدل لماري بن سليمان ط رومية ص ١٤٢ لغاية ١٥٢

(٤) أخبار العلماء للقفطي ص ٢١٥ ط مصر

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

– ٣ –

صالونها

ولئن ظهرت صالونات فتيات الطبقة الأرستقراطية فى الغرب حوالى القرن الثامن عشر، فقد كانت هذه الصالونات معروفة فى الأندلس قبل ذلك بقرون. فكان صالون « ولادة بنت المستكفى » مجمع العلماء والشعراء وأهل الفن والأدب. وهذه الصالونات كانت منتشرة فى المدينة منذ القرن الأول الهجرى. والذى نراه أن أول ظهورها فى الشرق كان فى المدينة المنورة على عهد الدولة الأموية، وأول من سن هذا هى السيدة سكينة، ثم تبعها بعد ذلك سيدات قريش

امتازت ندوة سكينة بفخامتها وجلالتها، ذلك لأنها ندوة سكينة التى نعرف أدبها الرفيع وعلمها وظرفها ومروءتها وميلها إلى تشجيع كل نابغ، والأخذ بيد كل سائر، تهديهم الطريق وتذلل لهم العقبات، وترشدهم إلى مواضع الضعف فى علمهم وأدبهم وفنهم. وفى بيتها غرف للانتظار وأخرى للضيافة يتزاحم فيها الشعراء والأدباء والفقهاء ورواة الحديث والمغنون. وقلما كان يمر بالمدينة أمير أو شريف أو نابغ أو عالم إلا ويعرج إلى هذه الندوة عش الأدباء وكعبة العلماء والفقهاء

وكم اجتمع الشعراء ببابها والناس حولهم يطلبون الإذن منها لينشدوها أشعارهم أملاً فى صلتها أو طلباً لإبداء رأيها. وكم انتظر الشعراء ببابها أياماً حتى يؤذن لهم. والشىء المعتاد عند أهل المدينة هو أن يترددوا إلى ندوتها ليشاهدوا مباراة الشعراء فيها، أو الحلقات العلمية التى تعقد. أو مجالس رواة الحديث التى تدور، وكانت السيدة سكينة تشارك فى هذا كله من وراء حجاب بحيث تراهم ولا يرونها، يحف بها جواريها اللاتى يروين الأحاديث ويحفظن الأشعار

اجتمع الفرزدق وجرير وجميل وكثير ونصيب فى موسم الحج. فقال بعضهم لبعض: لا تجتمعون فى مثل هذه الساعة، فهلموا نفعل شيئاً نذكر به فى الزمان. فقال جرير: هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها أن تكون سبباً لما أردتم. قالوا: نعم الرأى. وانطلقوا فاستأذنوا. فخرجت جارية وأعلمت مولاتها بقدومهم. فأذنت لهم فقصدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم. وأخرجت إليهم جارية وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ قال: أنا. قالت: أنت القائل:

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره

قال: نعم. قالت: ما وفقت ولا أصبت. أما آيست من تعريضك بعودة صدق محمودة؟ ما دعاك إلى إفشاء سرك وسرها؟ أفلا سترت على نفسك وعليها؟ خذ الألف درهم وانصرف. ثم دخلت وخرجت، وقالت: أيكم جرير؟ قال جرير: هأنذا. قالت: أأنت القائل؟:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

قال جرير: أنا قلته. قالت: فما أحسنت ولا أجلت ولا صنعت صنع الحر الكريم حين رددتها، وقد تجشمت إليك هول الليل. أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت لها « نفسى فداؤك فادخلى بسلام. خذ هذه الألفين والحق بأهلك. ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت: أيكم القائل:

ولو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشء الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتظار

قال نصيب: أنا قلته. قالت: غزلت وأحسنت ولا كرمت، لأنك صبوت إلى الصغار وتركت الناهضات بأحمالها. خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها. ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت: أيكم القائل:

وأعجبنى يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا ودفعك أسباب المنى حين يطمع
وإنك لا تدرى كريماً مطلته أيشتد إن لاقاك أو يتضرع

قال كُثَيِّر: أنا قلته. قالت: غزلت وأحسنت. خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها. ثم انصرفت إلى مولاتها ثم خرجت فقالت: أيكم القائل:

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامى وأفضل مشهد إذا هيج بى يوماً وهن قعود

قال جميل: أنا قلته. قالت: غزلت وأحسنت وكرمت

وعففت ، أدخل . فلما دخل سلم . فقالت له سكينة : « أنت الذي جعلت قتيلنا شهيداً ، وحديثنا بشاشة ، وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ، ولم تعد ذلك إلى قبيح ، خذ هذه الألف درهم وابسط لنا العذر ، أنت أشعرهم »

على أن هذا التبصر بالشعر وفنونه والمآخذ الدقيقة على الشعراء لم يكن ليتهيأ لغير سكينة ، فقد كان لها فوق ذكائها المتوقد ، من عوامل الوراثة من والديها ما ساعدها على ذلك . فجدها سيد فصحاء العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمها بدوية نشأت في البادية وتلقت الفصاحة عن شعرائها وبلغائها وهي شاعرة رقيقة . ناهيك عن محيطها الذي نشأت به وهي المدينة المنورة عش الأدباء والشعراء ، ومنشأ الغزل الإباحي العفيف — كل هذه العوامل أثرت في السيدة سكينة وجعلتها تفوق بنات قريش في بصرها الثاقب ورأيها الصائب وأدبها الرفيع

نرى رواة الشعراء يختصمون وكل يفضل صاحبه فإذا جدال وإذا خصام وينشدون حكماً صائباً يقدر أن يوفق في مثل هذا الموقف الحرج فيقضي لفحل على فحل دون خوف أو حذر أو تعصب . ومن لهم في مثل هذا الموقف ؟ وأنى لهم ذلك الحكم الواسع الاطلاع على أشعار العرب وأنسابها وأخبارها ليوفق في حكمه ؟ ومن يعرض نفسه لتهكم جرير أو لفحش الفرزدق أو لهجو الأحوص . هذا ما لا يجرؤ عليه أحد . ولا يتهيأ لغير « السيدة سكينة » . اجتمع بالمدينة رواة الشعراء جرير ونصيب وكثير وجميل والأحوص فأدلى كل منهم أن صاحبه أشعر وتراضوا بأن يحتكموا إلى سكينة بنت الحسين . فقصدوا ندوتها وعرضوا عليها الأمر فأذنت لهم . فدخلوا . قالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟!

ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزناً من ذا يهيم بها بعدي

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده ألا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذي يقول :

من عاشقين تواسلا وتوعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح النهار تفرقا

قال : نعم . قالت : ألا قال « حتى إذا وضح النهار تعانقا » .

ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول :

فيا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى عليّ كلامها

قال . نعم . قالت . رحم الله صاحبك . إنه كان صادقاً في شعره ، وكان جميلاً كاسمه . فحكمت له ، ورضي الجميع بالحكم

حبها للغناء

وللسيدة سكينة شعور رقيق وحب للجمال — وهل يحب الجمال إلا الجميل — هي جميلة في صورتها ، جميلة في صوتها ، جميلة في نفسها ، وجميلة حتى في تهكمها ونقدها . ففاض هذا الجمال من روحها الطيبة الطاهرة ، وغمر ندوتها ، وجعلها معرضاً للفن والجمال .

وما الغناء إلا مظهر من مظاهر الجمال الروحي الذي تجيش به الأنفس فتهتز له القلوب فترده ألحاناً .

كان يعجبها الغناء وتهتز له . وكان المغنون يقصدون صالونها ويعرضون فيه ألحانهم الجديدة وأصواتهم المبتكرة التي لم تكن معلومة عند العرب . وكان « الفريض » مولاها يلازم هذه الندوة ويشرف على مرتاديها من أهل الفن . اعتنت السيدة سكينة بتربيته وأسلمته إلى المغنين وما زال يسمو أمره حتى بلغ في الغناء ما بلغ .

وهذا « حنين المغني العراقي المشهور يشد الرحال إلى المدينة المنورة تلبية لدعوة زملائه المغنين فيها . ولما كان على مرحلة منها ازدحم الناس لمشاهدته — فلم ير يوماً كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ — وأمل كل سري وشريف أن يحل حنين ضيفاً عنده . ولكن كل شرف دون شرف السيدة سكينة ، ومن له من الشرف والمروءة مثل ما لها ؟ عرج حنين إلى دارها ليسلم عليها ويستأذنها في الغناء عندها قبل كل أحد . فأذنت له بالدخول . ثم أذنت للناس إذناً عاماً وأقبل أهل المدينة كدأبهم إلى صالتها ليسمعوا أنغام حنين ، غصت الدار وصعدوا فوق السطح وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا ثم ابتدر حنين يغني :

هلا بكيت على الشباب الذاهب وكففت عن ذم المشيب الآيب

فازدحم الناس على السطح وسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعاً إلا « حنين » فإنه مات تحت الهدم .

على أن المصائب التي اعتورتها منذ صغرها لم تترك قلبها خالياً من الحزن والأسى ، وكيف يخلو قلبها من الحزن وقد شهدت أعظم المصائب ؟ فقد كانت تأنس بالنوح وتخفف به آلامها وأحزانها . ومن أحق بالنوح منها ؟ وهل النوح إلا أنغام الحزن والأسى ؟ !

كانت تبعث بالأشعار المحزنة إلى المغنين ليصوغوا بها ألحاناً يناح بها . كما كانت تختار من ذوى الأصوات المشجية وتسلمهم إلى المغنين ليعلموهم النوح ، وقد بعث مملوكها عبد الملك إلى ابن سريج وأمرته أن يعلمه النياحة . ولما توفى عمها « أبو القاسم محمد بن الحنفية » ناح عليه نوحاً فى الغاية من الجودة .

(يتبع) سعيد الديوه جي

بالموصل

الأزهر حصن الدين

وينبوع الأدب

للأستاذ حسن عبد العال

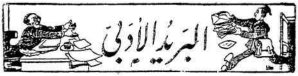
صاحب جريدة « الإصلاح » الحلبية

فقدت استنبول صفة عاصمة الإسلام بزوال الخلافة منها وانتقلت هذه الصفة إلى القاهرة ، وكانت القاهرة مع وجود الخلافة فى عاصمة الأمبراطورية العثمانية عاصمة « عملية » للاسلام ، فقد حفظت آثار الإسلام وأخذت طابعاً إسلامياً بارزاً فى مساجدها القديمة ومدارسها الدينية ، وعاداتها التاريخية ، ومواسمها المذهبية ، وهى الآن مركز لأعظم جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى العالم ففيها الأزهر ، والأزهر دعامة الإسلام وركن العروبة ؛ وينبوع الأدب وقاموس اللغة ، وقد حفظ الأزهر مآثر الإسلام وبالغ فى إغداق الفضل على اللغة العربية حتى صانها من الفناء وضمنها من البلاء ، وأحاطها بسياج صد عنها المكاره فنعمت فى أروقته وعاشت فى ظلاله حتى صدرت إلى مجاهل الهند والصين ، وبلغت آداب العرب ذروة المجد فى هيكل الأزهر، حتى أشرقت على العالم العربى بجمالها وبهائها ، وغرف العرب والمسلمون من معينها فى كل زمان ومكان ، وتدفقت شهداً من أفواه الأدباء الفطاحل

هذه صورة عن الأزهر ، وهو على كل حال أجمل وأفضل ، ولئن كان فى حالته المتواضعة ومتانته فى الدفاع عن العروبة والإسلام قذى فى عين جماعة السخفاء من المتأدبين ، وحصناً لا يثبت فقرهم الأدبى أمام غناه فى المناعة والجبروت ، لقد نجده ضرورة للأدب وحياة للقومية ، ونوراً للعالم الإسلامى ؛ وفى هذه الضرورة وهذه الحياة وهذا النور رحمة تصيب كل من نطق بالضاد وآمن بالله الأحد ، رحمة عامة شاملة ، لو جزأتها إلى تراكيب الاصطلاحات الحديثة لكان معنى هذه الرحمة اقتصاداً أو سياسة واجتماعاً ، ارتبطت بها أجزاء العالم الإسلامى المبعثرة ، والأقطار العربية المتفرقة . وإن شئت الدليل فقل لى ما يكون شأن عالم إسلامى بدون هذه الجامعة ؟ وما حالة بلاد العرب بدون هذا للغتها ؟ وما قيمة القومية بلا لغة ذات قواعد وآداب ؟ ولأذهب بك إلى شىء أقرب من هذا كله ، ولأذكرك بحقيقة تلمسها وتؤمن بها ، لتعتقد ببداهة فضائل الأزهر ، فلولاه لما قرأت أدباً لطه حسين ، ولا تلذذت بما كتب عبد الوهاب عزام ، ولا أخذتك روعة علم أحمد أمين ، ولا استنزفت مقالات أحمد حسن الزيات كل ما فى نفسك من إعجاب ، ولا كان سعد أخطب الخطباء وأحسن الزعماء ، والمنفلوطى فى طليعة الكتاب . كلهم طلبوا فى الأزهر وحفظوا ألفية ابن مالك ، وقرأوا مجموعة المتون ، واستظهروا رسالات الكتاب ودواوين الشعراء ، وحفظوا القرآن والحديث ، وحضروا دروس المعانى والبيان والبديع والتفسير وفقه اللغة ، حتى علموا بلغتهم ودينهم ، ورسخت أسس أدب أمتهم فى صدورهم ؛ ثم مالوا إلى آداب الأمم الأخرى وأقبلوا عليها إقبال العالم بالأدب ، ونقلوا روائعها إلى قومهم ، فأحسنوا الانتقاء ، وأتونا بأدب متين جميل جيد السبك ، حسن الأسلوب غزير المادة كان الأدب الحديث لهذا الزمان ، ولكنه كان مؤسساً على فضل الأزهر وأصوله فى التدريس ، ولو لم يكن كذلك لقرأنا الآن أدباً ركيكا وخيالا بارداً كله لحن يتطاير منه السخف ، فالحمد لله على نعمة الأزهر وأدباء الأزهر وعلوم الأزهر فلقد أغنى الأمة العربية بالأدب الممتاز ، وجعلها فى حل من الاقتصار على أدب يكتبه جماعة من أدبائنا الحديثين ، ممن تأدبوا من هوامش الأدب وأطراف الكتب ...

وبعد فالأزهر كله فضل وفخر . وفخرى منه أننى طلبت فيه

حسن عبد العال



من جنايات المذاهب الصوفية

قرأت في باب البريد الأدبي رقم ٥٠٤ كلمة عن المذاهب الصوفية وتنكب بعض رجالها وأتباعها الطريق السوى ، ذكر فيها كاتبها الفاضل عن تفسير المنار بعض ما كان للحلاج من مواطآت كان الغرض منها أن يلقى في روع العامة وأشباه العامة أنه ممن آثرهم الله بعلم الغيب والقدرة على المعجز من الأمور

وقد بعثني ما قرأت إلى كتابة هذه الكلمة الموجزة عن هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم متصوفين ومشايخ الطريق ، الذين بما لبّسوا على العامة وأشباه العامة وبما اندس بينهم من الجهال بالشرع والحق ، صاروا غير أهل لشيء مما يتمتعون به من تشريف وتكريم

محيي الدين بن عربي من أساطين المتصوفة ، وممن لا يزال لهم أتباع كُثُر في البلاد الإسلامية ، على بعد فلسفته النظرية والأخلاقية عن الدين ، ويكفي أن نشير إلى بعض ما يرى في الأخلاق

١ — إنه بما ذهب إليه من القول « بوحدة الوجود » وما يستلزمه هذا القول من اعتبار العالم كله صوراً ومجالي ومظاهر لله الذي هو وحده الموجود ، قد أتى الأخلاق من قواعدها ، إذ لا معنى للمسئولية الأخلاقية التي هي مناط الثواب والعقاب ؛ لأن للآثم أخلاقياً أن يقول : ما دام الله الذي اتخذني مظهراً له هو الذي فعل حقيقة ما يُظَن أنه فِعْل لي ، كيف يستقيم أن أكون أنا المسؤول !

٢ — ويظهر أن الشيخ الأكبر (كما ينعته أتباعه) لا يتهيب أن يصل به مذهبه إلى هذا الحد فيما يتصل بالأخلاق . إنه يرى أن الذي وصل إلى درجة المحبة الحق يباح له أن يتجاوز حدود ما أنزل الله ، بعد أن لازم زمناً طويلاً حفظها ؛ لأن من أحكام المحب أو من صفاته أنه كالدابة جرحه جُبار ![1] بل إنه ليرى أن هذا الصنيع من المحب لا يعتبر مجاوزة للحدود إلا في نظرنا نحن ، أما بالنسبة إليه فهو كأهل بدر الذين أباح لهم أن يفعلوا ما يشاءون فقد غفر لهم ، وإذاً فتصرف المحب هو تصرف فيما أبيح له ! وإذا تركنا هذا القياس الخاطئ للمحب على أهل بدر ، رأينا ابن عربي يذكر تعلة أخرى لما أجاز من تعدى المحب حدود ما أنزل الله ؛ إذ يرى أن هذا المحب — وهو ولهان مدلّه العقل لا تدبير له في رأيه — غير مؤاخذ فيما يصدر عنه ، وغير مطالب بالآداب التي لا يطالب بها إلا من كان له عقل[1]

وبعد : فهل لنا بعد هذا أن نعالج في جد مشكلة هؤلاء المتصوفة ، أعني الذين عرفوا منهم بالإلحاد في العقيدة ، والضلال في الأخلاق ، وأكل أموال أتباعهم الجهال بالباطل !

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

العالم العربي

أهاب الأستاذ محمد عوض محمد في مجلة الثقافة بزعماء المسلمين لإعداد الخطط التي تؤول إلى ما فيه اليُمن والفلاح . ومن واجبات المصلحين المخلصين حثّ القادة على العمل المثمر لوضع الدعائم التي يقوم عليها صرحُ الوحدة العربية وتوجيه آراء الأمة نحو المثل العليا والسير بالشعب نحو المحجّة السامية .

وما نخالُ مقال الأستاذ إلا توطئةً لمقالات أُخَر ودراسات شاملة نأمل منه ومن حضرات المفكرين أمثاله أن يمهروا بها العالم العربيّ ، ولا أقول الإسلامي

فالوطنية الحق ليست وقفاً على دين من الأديان ؛ وإن في مسيحي الشرق العربي من الشباب الطامحين المثقفين الأحرار من يُدِلون على الملأ : قاصيه ودانيه بعروبتهم ويفخرون بقوميتهم ، ويتعصّبون لها كأشدّ المسلمين اعتزازاً بالوطنية وتعلقاً بالعروبة .

وإني أرى أن يعدلَ كتّابنا عن اسم « العالم الإسلامي » إلى « العالم العربي » عند ما يعرضون للوطنية وللاستقلال بالدراسة والبحث لأنه أدلُّ تسمية وأدق تعبيراً .

وبعد ، فأنا ممن يتحرّج بالإسم الديني هذا يطلق على البلاد

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ج٢ ص ٣٠٨

(١) نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٠٩ . وهذه المسألة موفاة في كتابي « فلسفة الأخلاق في الإسلام »

العربية الغالية ، والمسلمون إخوان لى أثيرون على قلبي ، ولهم فى نفسى - كما لهم فى كل نفس تؤمن بالعروبة - مكانة لا تعدلها المكانات ، وإنما أود أن نجرد نحن الشرقيين معنى الوطنية من الطائفية ، فالطائفية كما نعلم جميعاً لم تكن إلا بلاء فى وطن كثرت فيه الملل وتعددت فيه المذاهب والنحل .

والطائفية كانت - لنكد الطالع وشؤمه - الثغرة التي نفذ منها دعاة السوء إلى بنياننا القوى فصدعوه ، وما فينا على ما أعتقد من ينكر هذه الحقيقة إلا من أضله التعصب سواء السبيل ، وغشت على بصيرته نوازع الأهواء .

نحن اليوم أشد ما نكون حاجة إلى التكاتف والتساند وتوحيد الجهود لدرء ما قد يهدد الكيان العربي من أخطار . وعرب نحن سواء كنا مسلمين أم نصارى ، وحرى بنا أن فرقت بيننا المذاهب أن تجمعنا العروبة فهى خير آصرة تتألف عليها القلوب وتتوثق بها العرى ، فللعروبة يجب أن تهفو النفوس وباسمها فلتنطلق الأفواه

« بيروت »

جورج سلستى

تراث بنى اسرائيل

يخطىء المفسرين الأستاذ الصعيدى فيما ذهبوا إليه من أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه ، فأعطاهم جميع ما تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ؛ معتمداً على أن تاريخ مصر وتاريخ بنى إسرائيل لا يثبتان عودة الإسرائيليين إلى مصر ولا قيام ملك لهم فيها قبل ظهور الإسلام ؛ ثم يقول : والحق أن الله تعالى يشير إلى بساتين وعيون كانت لهم فى فلسطين ، وأن الضمير فى (أورثناها) يعود إلى مطلق الجنات والعيون ؛ لا إلى خصوص ما كان فى مصر على ذلك العهد ، وهذا من أسلوب الاستخدام المألوب فى لغة العرب

ومقال الأستاذ صريح ؛ أو ظاهر - على لغة الأزهريين - فى خمس دعاوى ، أن المفسرين قاطبة على هذا الرأى ، وأنهم جميعاً مخطئون ؛ وأن التاريخ ينفى عودة بنى إسرائيل لأنه لم يثبتها ، وأن الأستاذ وحده مبتكر هذا الرأى ، وأنه الحق .

ولكن ما قول الأستاذ فى أن ما نقله عن المفسرين إنما هو رأى جمهورهم - لا رأى جميعهم - بناء على الظاهر ، ولا يعدل عن الظاهر كما يقول الأزهريون إلا بقاطع . ولا قاطع ، وأن التاريخ إذا سكت عن إثبات شيء لا يكون حجة على نفيه ، ومن القضايا الأزهرية « عدم الدليل ليس دليلاً على العدم » .

فكيف وقد أثبت التاريخ القديم رجوع بنى إسرائيل إلى مصر ؟ قال الألوسى : ورأيت فى بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى وبقوا معه بمصر عشر سنين[1]. وجاء فى كتاب البشرية ص ٨٨ لمؤلفه لينج أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر الذى فر إلى بلاد الحبشة حكم مصر ثلاث عشر سنة[2]

والمتبادر من قوله تعالى : « ويستخلفكم فى الأرض » ، ومن قوله « ثم قلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض » ، ومن قوله سبحانه « وأورثنا بنى إسرائيل » أنهم رجعوا إلى مصر . وقد حكى الألوسى تأويلاً آخر هو عين ما قاله الأستاذ الصعيدى إلى أن قال : وأخذ قوم بقول الحسن وهو رجوع بنى إسرائيل إلى مصر وقال لا عبرة بالتواريخ وحسبنا كتاب الله تعالى فهو أصدق القائلين[3]

طه محمد الساكت

المدرس بمعهد القاهرة

من نوادر العرب

نوادر العرب كثيرة ، يعثر عليها المرء فى تضاعيف الكتب التاريخية ، وثنايا المصنفات الإخبارية . وإنى لراو لك فيما يلى طرفاً مما التقطته[4] من نوادهم

١ - كان أبو حية النميرى جباناً ، وكان له سيف ليس

---

(١) تفسير سورة الشعراء (٢) تفسير المنار ج ٩ ص ٩٨ والموضوع مبسوط فى المنار ، وإنما اكتفينا بهذه اللمحة مع الاشارة إلى الأصل إيثاراً للقصد فى القول والورق

(٣) تفسير سورة الدخان عند قوله تعالى : « وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » وقد سقطت الأرض من مقال الأستاذ الصعيدى . أنظر العدد ٤٩٩

(٤) لفت نظرى صديقى الثقة المحقق الأستاذ محمود شاكر إلى ما ورد فى « لسان العرب » تحت مادة « ل ق ط » ؛ وهو : « التقط الشيء : عثر عليه من غير قصد ولا طلب » فدلنى بذلك على التعبير الذى يفيد المعنى المتطلب تماماً ...

بينه وبين الحية فرق ، وكان يسميه « لعاب المنية » . وذات يوم وقف النميرى على باب داره ليلاً ، وقد جرد سيفه وهو يقول : « أيها المغتر بنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ؛ خير قليل ، وسيف صقيل ، هو لعاب المنية الذى سمعت به . أخرج بالعفو عنك ، وإلا دخلت بالعقوبة عليك » ! وظل واقفاً لا يجسر على الدخول ، مخافة أن يكون فيه لص فاتك . فجاء رجل من أهله ، فدفع الباب فانفتح ... وخرج منه كلب يعدو كالأرنب ، فسقط أبو حية النميرى على قفاه وهو يقول : « الحمد لله الذى مسخك كلباً ، وكفانى حرباً » !

٢ — دخل رجل أعور على معن بن زائدة ، فأمر له بجائزة . وكان «معن» جوداً ؛ ثم دخل عليه رجل آخر ، وكان مثل زميله أعور ، فأمر له بجائزة ... فعادا يمشيان جنباً إلى جنب بحيث صارت عيناهما المكفوفتان جوار بعضهما البعض . . . فقال معن : « لقد أعطيتكما منفردين ، فماذا تريدان ؟ » فقال أحدهما : « بيننا رجل أعمى يستحق الصدقة » ، فأعطاهما معن ضعف ما أخذاه ، فقال أحدهما :

ألم ترنى وعمراً حين نمشى
نريد السوق ليس لنا نظير
أماشيه على يُمنى يديْه
وفيما بيننا رجل ضرير !

٣ — وأما نوادر البخلاء فليس لها حصر ، ولذلك نجتزئ بذكر هذه النادرة الطريفة :

طبخ أحد البخلاء قدْراً ، وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : « ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام ! » فقالت : « وأى زحام وما ثمّ إلا أنا وأنت ؟ » فقال : « كنت أحب أن أكون أنا والقدْر » !

زكريا ابراهيم

كليوباترة

منذ أمد بعيد واستديو لاما يعمل عملاً متواصلاً فى إنتاج فلم (كليوباترة) ، وقد ابتدأ عرض هذا الفلم الذى اشترك فى تمثيله جماعة منتقاة من الممثلين والممثلات نذكر منهم الأساتذة : بدر لاما ، منسى فهمى ، السيد زيادة ، حسن كامل . والآنسة أمينة رزق ، وزوزو بيبل . والمطربة درية أحمد وغيرهم . وقد أخرج هذا الفلم التاريخى العظيم المخرج المعروف الأستاذ ابراهيم لاما

عبد الفتاح متولى غبن